

التعبئة الشعبية حقيقة ساطعة وجليلة

المكان: طهران

الزمان: 1389/9/4 ش. 1431/12/18 هـ. 2010/11/25 م.

الحضور: اجتماع 110 آلاف تعبوي

المناسبة: عيد الغدير الأغر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا أبي القاسم المصطفى محمد وعلى آله الأتبيين الأطهرين المنتجبين الهداة المهديين المعصومين سيما بقية الله في الأرضين.

الحمد لله الذي جعلنا من المتمسكين بولاية علي أمير المؤمنين والأئمة المعصومين الطاهرين.

أبارك عيد الغدير السعيد لكم جميعاً أيها الأعزاء المشاركون في هذا التجمع الهائل العظيم، ولكل التعبويين المخلصين في جميع أنحاء البلاد، ولكل الذين يعتبرون أنفسهم ملتزمين بالإسلام وسيادة الإسلام في شتى بقاع الأرض، ولكل الذين يحترمون الاسم المبارك للإمام علي بن أبي طالب.

مع أن عيد الغدير من خصائص فرقة الشيعة الإمامية لكن لهذا الحدث مفهوماً ومحتوى ومضموناً واسعاً يجعله مستوعباً لكل المسلمين، بل حسب الإيضاح الذي سأذكره فهو لكل المخلصين والمتشوقين لسعادة الإنسان وتحسين حاله.

نحن الشيعة لدينا هذا الاعتقاد الراسخ بشأن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو اعتقاد متقن لا سبيل للشك فيه، ونعتبر الحديث المتواتر - أي حديث يوم الغدير - الذي رواه كل محدثي الإسلام الكبار من شيعة وسنة سناً وركيزة لهذا الاعتقاد المتقن.

عين الرسول الأكرم (ص) في يوم حار وفي منطقة حساسة ومقابل أعين الناس علي بن أبي طالب (عليه الصلاة والسلام) إماماً للمسلمين من بعده وولياً لأُمور الإسلام وقدمه وعرفه للناس: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» (1). وهذا عطف على آيات عديدة تثبت ولاية الرسول (ص) من قبل الله تعالى. «إنما وليكم الله ورسوله» (2).. وآيات عديدة أخرى. يقول: من كنت مولاه فهذا علي مولاه. أي معنى للولاية يختص بالرسول (ص) يختص كذلك بأمر المؤمنين (ع) بهذا التنصيب والتعريف الذي قام به الرسول. هذا دليل متين وموثق ولا سبيل للشك فيه. وقد ناقش كبار العلماء هذه المسألة. وليس من اللازم أن ندخل في بحوث عقدية، فهذا أمر محرز.

كان جميع الناس قد خبروا علي بن أبي طالب في ذلك اليوم عن كثب، ولم يشكك أحد في تنصيب أمير المؤمنين. كان واضحاً أن هذا الرجل المضحى المخلص ذا المرتبة العليا في الإيمان والتقوى جدير بمثل هذه الخطوة من قبل الرسول الأكرم (ص) ومن قبل الله تعالى في الواقع. لم يكن تنصيب الإمام علي (ع) تنصيباً نبوياً، بل تنصيباً إلهياً. كان هذا شأن الله الذي أبلغه الرسول للناس.

يوم دخل أمير المؤمنين المدينة مع الرسول، كان شاباً في الثالثة والعشرين من عمره. وليقارن الشباب من هم في سن الثالثة والعشرين سلوكهم بذلك الشاب الممتاز على امتداد تاريخ البشرية. نفس هذا الشاب أضحى نجم معركة بدر وبطلها. وهو الذي تألق في معركة أحد إلى درجة علم معها كل المسلمين بعظمة ما قام به. وهو نفسه الشاب الذي وقف إلى جانب الرسول في الامتحانات المختلفة، وفي غزوات الرسول، وفي الصمود بوجه ضغوط جبهة الكفر والاستكبار يومذاك. وهو الشاب الذي لم يرغب في الدنيا. يوم نصبه الرسول الأكرم (ص) - وكان وقتها شاباً - كان له في أعين المسلمين عظمة لا يمكن لأحد إنكارها. ولم ينكرها أحد لا في ذلك الوقت ولا في الأزمنة اللاحقة.

لم تكن حادثة الغدير مجرد نصب خليفة للرسول، فللغدير جانبان: أحدهما يتعلق بنصب الخليفة، والجانب الثاني هو الإلفات إلى قضية الإمامة. الإمامة بالمعنى الذي يفهمه كل المسلمين من هذه الكلمة ومن هذا العنوان. الإمامة بمعنى قيادة الناس واجتماع في أمور الدين والدنيا. هذه من القضايا الرئيسية على امتداد تاريخ الإنسانية الطويل. ليست قضية الإمامة قضية خاصة

بالمسلمين أو الشيعة. الإمامة معناها أن يحكم فرد أو جماعة المجتمع، ويرسمون اتجاه مسيرته في أمور الدنيا والشؤون الروحية والمعنوية والأخروية. هذه قضية عامة تشمل كافة المجتمعات البشرية.

طيب، هذا الإمام يمكن أن يكون على حالتين: إمام يقول عنه الله تعالى في القرآن الكريم: «وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين» (3). هذه إمامة تهدي الناس بأمر الله وتأخذ بأيديهم لتجتاز بهم الأخطار والمهالك والمزالق والهاويات، وتوصلهم إلى الهدف المنشود من الحياة الدنيوية للإنسان، والتي خلق الله هذه الحياة ومنحها للإنسان للوصول إلى هذا الهدف. هذا شكل من أشكال الإمامة، مصداقها الأنبياء الإلهيون والرسول الأكرم، وقد جمع الإمام الباقر (عليه الصلاة والسلام) الناس في منى وقال: «إن رسول الله كان هو الإمام». الإمام الأول هو الرسول نفسه. الأنبياء الإلهيون وأوصياء الأنبياء والمصطفون من الناس هم من الفئة الأولى من الأئمة، ومهمتهم الهداية، حيث يهديهم الله تعالى وينقلون هذه الهداية إلى الناس: «وأوحينا إليهم فعل الخيرات». أفعالهم حسنة.. « وإقام الصلاة»، والصلاة رمز ارتباط الإنسان واتصاله بالله.. «وكانوا لنا عابدين»، وهم عبيد لله ككل البشر الذين هم عبيد لله، وعزتهم الدنيوية لا تنال إطلاقاً من عبوديتهم لله أو من مشاعر العبودية لله في قلوبهم وكيانهم.. هذه فئة.

والفئة الأخرى: «وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار» (4)، وهو ما ورد في القرآن الكريم بخصوص فرعون. فرعون أيضاً إمام. بنفس المعنى الذي استخدمت فيه كلمة إمام في الآية الأولى استخدمت هنا أيضاً كلمة إمام. أي إن دنيا الناس ودينهم وآخرتهم - أجسام الناس وأرواحهم - في قبضة هؤلاء الأئمة، لكنهم «يدعون إلى النار».. يدعونهم إلى الهلاك.

حتى أكثر حكومات العالم علمانية - وعلى الرغم مما تدعيه سواء علمت بذلك أم لم تعلم - تمسك في قبضتها بدنيا الناس وآخرتهم. هذه الأجهزة الثقافية الهائلة التي تأخذ أجيال الشباب اليوم في مختلف أصقاع العالم نحو سوء الأخلاق والفساد والضياع هي الأئمة الذين «يدعون إلى النار».. الأجهزة المقتدرة التي تأخذ الناس إلى النار من أجل مصالحها، ومن أجل سيادتها الظالمة، ومن أجل أن تصل إلى أهدافها السياسية المختلفة، ودنيا الناس في أيديهم وآخرة الناس أيضاً في أيديهم، أي إن أجسام الناس وأرواحهم في أيديهم.

الادعاء القائل بأن الكنيسة في المسيحية تعنى بالآخرة والسلطة تعنى بالدنيا ادعاء فيه مغالطة. حينما تقع السلطة بيد أناس غرباء على الدين والأخلاق فسوف تكون الكنيسة أيضاً في خدمتهم، وتقع القيم الروحية والمعنوية أيضاً في قبضة اقتدارهم وتتبدد وتسحق. ستكون أجسام البشر وأرواحهم تحت تأثير سلطتهم. هذه هي حالة الإنسانية دائماً.

المجتمع إما أن يكون تحت إشراف وإدارة إمام عادل - هو منصب من قبل الله وهادٍ إلى الخيرات والحق - أو في قبضة أناس غرباء على الحق وغير عارفين به وفي حالات عديدة معاندين للحق، لأن الحق لا يتصالح مع مصالحهم الشخصية والمادية. إذن، هي إحدى حالتين ولا تخرج الحال عنهما.

لقد أثبت الإسلام بتأسيسه نظام حكم في المدينة وتأسيس المجتمع المدني النبوي أن الإسلام ليس مجرد نصيحة وموعظة ودعوة لسانية. إنما يروم الإسلام لحقائق الأحكام الإلهية أن تتحقق في المجتمع، وهذا غير متاح من دون تأسيس سلطة إلهية. وبعد ذلك، عيّن الرسول الأكرم (ص) في نهاية عمره المبارك بأمر من الله ويألهام من الله الشخص الذي يليه. طبعاً سار التاريخ الإسلامي في مسار آخر، لكن هذا هو ما أراده الرسول والإسلام. كانت هذه أطروحة بقيت في التاريخ. يجب أن لا ننصّر أن فكرة الرسول قد فشلت، لا، لم تفشل، لكنها لم تتحقق في تلك البرهة الزمنية، وبقي هذا الخط المميز في المجتمع الإسلامي والتاريخ الإسلامي. وتلاحظون نتائج اليوم في هذا الجزء من العالم الإسلامي، وسوف يزداد هذا النموذج وهذا الخط الساطع انتشاراً في العالم الإسلامي يوماً بعد يوم بفضل من الله وحوله وقوته. هذا هو مضمون الغدير.

إذن، قضية الغدير ليست قضية الشيعة فقط إنما هي قضية المسلمين، بل قضية كل البشر. الذين يفكرون سيتضح لهم أن هذا الخط النير خط لكل البشر. ولا سبيل سوى هذا. إذا كانت السلطة في المجتمعات البشرية بيد ذوي الصفات الشيطانية فسوف يسير العالم نحو الخطات التي تشاهدون اليوم مظاهرها في العالم الحديث. كلما ازداد العالم حداثة كلما ازداد خطر مثل هذه الحكومات. طبعاً كلما تطور العالم من الناحية العلمية والمعرفية أكثر كلما ازداد احتمال وإمكانية بروز خط الهداية. إننا لا نشعر بعرقلة خط الهداية بسبب تقدم العلم، لا، إنما سيتقدم هذا الخط.

إن منظومة التعبئة الشعبية العظيمة تعبئة المستضعفين في البلاد هي اليوم حقيقة ساطعة وجليّة. إنكم باقية من روضة التعبئة العظيمة في البلاد. وهي روضة أوجدها إمامنا الجليل وسقاها بكلماته وسلوكه. وقد ازدادت هذه الغرسات والحمد لله ثمراً وطراوة يوماً بعد يوم. التعبئة في بلدنا اليوم حقيقة عظيمة منقطعة النظير لا تقبل الإنكار. صحيح أن إعلام الأعداء وأتباعهم وأنصارهم في الداخل يحاولون تصغير التعبئة والخط منها وإهانتها، وهؤلاء أهانوا حتى كلام الله والرسول. الشيء الذي يتحلى في داخله بالعظمة والتألق لن يصغر بإهانة المهينين وقم المتهمين ولن ينقص تألقه شيئاً.

التعبئة اليوم حقيقة عظيمة متألفة في بلادنا وليس لها نموذج أو مثال آخر. لاحظوا الصنوف المختلفة من نساء ورجال وناشئة وشباب وكهول وشيوخ وشرائح مختلفة من طلبة الجامعات إلى طلبة الحوزات وأساتذة الجامعات ومعلمي المدارس والتلاميذ والعمال والمزارعين والتجار وباقي الشرائح المتنوعة المؤمنة في شتى أرجاء البلاد كلهم أعضاء في التعبئة ولهم مشاركتهم فيها، أي إن التعبئة غير محددة بأية حدود من حيث الصنوف والطبقات أو الجنس أو القوميات أو اللغات. في هذا الحشد الآن يوجد ترك وكرد ولر وفرس وبلوش وسائر القوميات الإيرانية، وكذا الحال في كل أنحاء البلاد. التعبئة جماعة منظمة لها أهدافها، ولا يمكن للمرء أن يشاهد نظيراً لها بهذه السعة وبهذا التنوع وهذا الكم الهائل وهذه الكيفية الإيمانية.

قلوبكم منشدة إلى التعبئة. ثمة في العالم أحزاب وقد تكون أحزاباً كثيرة العدد - طبعاً لا يوجد في أي حزب في العالم هذا العدد المليون الهائل الذي نلاحظه في التعبئة - ولكن حتى هذا الكم الذي نشاهده في الأحزاب فإن أجسام الأعضاء وألسنتهم وقدراتهم المادية توظف لصالح الحزب، وليس من المعلوم والمؤكد أن تكون قلوبهم واختلاجاتهم الإيمانية للحزب أيضاً، أما التعبئة فهي تعبئة القلوب والأرواح والعواطف والمعتقدات والإيمان. وهذا ما ينفع الشعب في الشدائد والصعاب. حينما تواجه الشعوب المشكلات فلن تنفعها الأجسام، ولا بد من نزول القلوب إلى وسط الساحة، ولا بد من تقدم القلوب وريادتها وتخطيطها للعقبات. الذين كانوا سابقين ومخطمين للعقبات والموانع لم تكن لهم بالضرورة أجسام قوية بل كانت لهم قلوب قوية وإيمان متين استطاعوا به تحطيم الجبال وطي الطرق الصعبة وتجاوز المزالق والوصول إلى الأهداف. التعبئة مثل هذه الحقيقة. وعلينا أن نعرف قدر هذا الشيء. أولاً على التعبوي نفسه أن يعرف

قدر هذا الشيء. وكما سمعنا الآن في هذا الميثاق وكما ذكر هؤلاء الشباب الأعزاء عن السنة التعبوية فقد حمدوا الله وأثنوا عليه لأنهم أعضاء في التعبئة. وهذه هي الحقيقة. ينبغي تقديم الشكر لله لتوفيقه الإنسان للانضواء في مثل هذه المنظومة.

الأهمية الأخرى للتعبئة هي أن التعبئة ليست مقصورة على اتجاه معين وبعد واحد وهدف واحد. مع أن للتعبئة فنونها العسكرية ومشاركتها في خطوط القتال الأمامية أينما اقتضى الأمر، وقد تولت أصعب وأشد المهام والأعمال، إلا أنها تستطيع القيام بكل شيء. أي إن التعبئة إذا شاركت في أي ميدان من الميادين كانت طليعية وسباقة. وشبابنا التعبوي اليوم سابقون ورواد حتى في ميادين العلم. وأسأدتنا التعبويين من أنجح الأساتذة في المشاريع العلمية. والفنانون التعبويون - الذين دخلوا ساحة الفن بروح تعبوية - أصابوا نجاحات أكبر وأفضل واستطاعوا اجتذاب مخاطبين أكثر. في أية ساحة، إذا دخل التعبويون بروح التعبئة وإخلاصها وإيمانها وشجاعته وشهامتها وقدرتها على الابتكار والإبداع فبوسعهم إنجاز أعمال كبيرة. هذه هي حقيقة التعبئة.

ليعرف التعبويون الأعزاء قدر هذا، وليعززوا في أنفسهم أركان الحالة التعبوية. للحالة التعبوية أركانها. وعلينا جميعاً أن نعزز هذه الأركان في أنفسنا يوماً بعد يوم. أيها الشباب الأعزاء، قلنا مراراً إن المهم بالدرجة الأولى هو روح الإخلاص وروح البصيرة. هذا الإخلاص وهذه البصيرة يؤثران على بعضهما. كلما زادت بصيرتكم كلما اقتربت بكم من الإخلاص في العمل. وكلما عملتم بإخلاص أكبر زاد الله تعالى من بصيرتكم. «الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور».. الله وليكم.. كلما اقتربتم من الله أكثر كلما زادت بصيرتكم ورأيتم الحقائق أكثر. إذا توفر النور استطاع المرء مشاهدة الواقع والحقائق. وحين لا يتوفر النور لا يستطيع المرء مشاهدة الواقع. «والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات» (5). حينما يعمي الطغيان أعين الإنسان وحينما يعمي أهواء النفس - وهي الطاغوت الحقيقي والأسوأ من فرعون في داخلنا - أعيننا، وحينما يعمي أعيننا نزعات الجاه والحسد وحب الدنيا وعبادة الأهواء والغرق في الشهوات فلن نستطيع مشاهدة الواقع.

رأيتم كيف لم يستطع البعض مشاهدة الواقع القائم أمام أعينهم ولم يتمكنوا من تشخيصه. في فئمة عام 88 المعقدة المخطط لها، كانت هناك حقائق أمام أعين الناس، ولم يسمحوا للبعض بمشاهدة

هذه الحقائق وفهمها، فلم يروها ولم يفهموها. حينما يظهر في البلد مشيرو فتن مستعدون من أجل نزعات الجاه والسلطة والوصول للأهداف المتراكمة والمزدهمة في أنفسهم على شكل آمال، مستعدون لأن يتنكروا لمصلحة البلد و أحقية الدرب ويضربون بها عرض الجدار، فيسفلون ما يثير حماس الساسة الغربيين وأعداء الشعب الإيراني الألداء ويبشون في نفوسهم الأمل فيبادروا لدعمهم. هذه حقيقة واضحة، وهي ليست بالشيء الذي لا يراه الإنسان حينما يكون هنالك نور، لكن البعض لم يروها.. البعض لا يرون، والبعض لا يدركون، والبعض بسبب ظلمة قلوبهم قد يدركون لكنهم غير مستعدين لترتيب أثر على هذا الإدراك والفهم. هذه كلها من أعراض هوى النفس. وهي كلها من نتائج أوامر ونواهي فرعون الذات. إنه فيل الهوى والتزوات الثمل الذي أعطى الشرع المقدس بيد الإنسان المؤمن مطرقة التقوى والورع ليقرع به رأس هذا الفيل الثمل ويروّضه. إذا استطعنا ترويض هذا الفيل في دواخلنا فسيصبح العالم نيراً وسنرى كل شيء، وسوف تنفتح أعيننا، ولكن حينما يكون هناك هوى النفس فسوف لن ترى العيون. وأنتم بوصفكم تعبوين وشباب، وقلوبكم طاهرة ونيرة، تستطيعون بنقاء بواطنكم تعزيز هذه الروح وهذه الحالة في أنفسكم. التعبوي إنسان نقي يتحلى بالصفاء والنور.

أعزائي، أبارك لكم انضمامكم للتعبئة، ولكن ابقوا تعبوين. الصمود في الدرب حالة على جانب كبير من الأهمية. البقاء على الحالة التعبوية منوط بمراقبتنا الدائمة لأنفسنا. يجب أن نواظب ولا نخرج عن الطريق. لقد قام الشعب الإيراني بعمل كبير. وهذا العمل الكبير هو أنه صرخ بالعالم الذي كان يركض بكل قواه وبأقصى سرعته نحو جهنم ونّبه واستطاع إنقاذ جزء منه. لقد أدركت جماعات كبيرة من الناس في العالم الحقيقة، وقد غير الشعب الإيراني طريقهم بوصفه رائداً وسباقاً. مسار المجتمعات الإنسانية يجب أن يكون نحو الله ونحو الجنة ونحو الحقيقة. طيب، من البديهي أنكم أيها الشعب الإيراني قمتم بهذا العمل الكبير، وأهل الباطل لن يقعدوا ساكتين. الذين يرتبط وجودهم بالباطل والظلم وسحق الشعوب.. هؤلاء لن يقعدوا ساكتين عن الشعب الإيراني وهو يصرخ بنداء الحقيقة والهداية ويوقظ الناس والبشرية، إنما سيعارضون حركة الشعب الإيراني.

وبالطبع، إذا واصلنا صمودنا فإن نتائج هذه المعارضة ستكون إيجابية «ولينصرون الله من ينصره» (6). جعل الله تعالى النصر - من دون أدنى شك - للذين يسرون على درب الحق ويدعون إلى

الحق، وهذا ما جرّبناه. منذ ثلاثين عاماً والأعداء يسعون سعيهم ويعملون ضد الشعب الإيراني، لكن الشعب الإيراني ببركة صموده وإيمانه يزداد قوة يوماً بعد يوم. والعدو يزداد ضعفاً يوماً بعد يوم. قدرتنا على الصمود حالياً أكبر مما كانت عليه قبل عشرين عاماً، ومما كانت عليه قبل ثلاثين عاماً. هذه هي تجربتنا. إذن، نهاية هذا الكفاح هو انتصار الإسلام والمسلمين. ولكن يجب أن نتنبهوا إلى أن هناك صراعاً وتحدياً. عليكم أن تحافظوا على جاهزيتكم واستعدادكم وبصيرتكم وإخلاصكم وحالتكم التعبوية. هذا هو رمز نجاح الشعب الإيراني والمجتمع الإيراني العظيم.

ستشهدون أنتم الشباب إن شاء الله اليوم الذي تفتحون فيه قمم الفخر، وكما وعد القرآن الكريم: «لتكونوا شهداء على الناس» (7)، لتكونوا شهداء على الناس ولتكونوا في القمة، ولتنتظر لكم الشعوب وتتحرك نحو هذه القمة.

اللهم عجل في فرج وليك وجوهرتك الفريدة في عالم الخلقة. اللهم اجعلنا من المتمسكين بولايته وولاية أجداده الطاهرين. اللهم اجعلنا مؤمنين وتعبوين وثوريين بالمعنى الحقيقي للكلمة. ربنا بحق محمد وآل محمد بلغ الشعب الإيراني العظيم العزيز آماله الكبرى. اشمل الروح المطهرة لإمامنا الجليل وأرواح الشهداء الأبرار الطيبة بألطافك وفيضك الدائم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الهوامش:

1 - الكافي، ج: 1، ص: 420.

2 - سورة المائدة، الآية: 55.

3 - سورة الأنبياء، الآية: 73.

4 - سورة القصص، الآية: 41.

5 - سورة البقرة، الآية: 257.

6 - سورة الحج، الآية: 40.

7 - سورة البقرة، الآية: 143.